(المحبة والنصرة بين الشرع والعاطفة)

إذكر الحركيون (الموصوفون بالإسلامية) بعد أمة أنه مسه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وإهانته رسم صورة كاريكاتيرية ترمز له وعليه عمامة سوداء تنتهي بقنبلة. وتفجر الغضب في بلاد المسلمين، واستدعت بعض دول المسلمين سفراءها في الدانمرك بلد الجريدة المجرمة فأعلنه رئيس وزراء الدانمرك مخالفة الجريدة. وهب المنتمون للإسلام انتقاماً من الجريدة بمقاطعة منتجات بلادها وتحريم ارتيادها وسفارتها، وكانت النتيجة الحقيقية نشر هذه الجريدة في كل وسائل الإعلام العالمية. ولعاداتي - بفضل الله ومنته علي - عرضت الأمر على كتاب الله وسنة رسوله قبل أن أطلع الصفاء لعاطفتي الدينية استجابة لأمر الله تعالى: ﴿فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ وقال تعالى تحذيراً من تحكيم العاطفة في الدين وحضاً للحاكم في الدين على وحيه: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾، ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ولا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ والعاطفة مبنية على ما تظنه الأنفس وما تهواه بعيداً عن شرع الله. وظهر لي ما يلي:

١) ليس من شرع الله أخذ البلاد والدولة والناس أجمعين بجريرة واحد منهم فقد قال الله في محكم كتابه: ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾.

٢) أهين رسول الله صلى الله عليه وسلم واستهزئ به وتمنى له زواله منه يهود المدينة (وهو ولي الأمر في المدينة) إذ قالوا: (السام عليكم) فما زاد على أن قال: «وعليكم»، ولما قالت عائشة رضي الله عنها: (وعليكم السام واللعنة) انتقاماً لرسول الله (وهي الصديقة بنت الصديق) قال: «مهلاً يا عائشة فإن الله يحب الرفق في الأمر كله» رواه البخاري، وفي رواية: «عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش»، لأن الله قال له: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾.

٣) وحارب يهود المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا كل عهودهم، وحاربهم

ومع ذلك لم يقاطعهم بضائعهم، فاشتهر أنه مات ودفن مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من الشعير، وفي آخر حرب دارت بينهم زالت عنهم في خيبر بنصف ما يخرج منها (فيما رواه البخاري ومسلم)، وهم الأعداء الحربيون.

ومع أني أقاطع كثيراً من المنتجات (بصرف النظر عن دينه منتجها) لأني لا احتاج إليها، ومنها: الجرائد والمجلات، ووسائل الاتصال ومنها: الجوال والبيجر قبله، والكمبيوتر والسيارة الجديدة، فإني أعني الفرق بين الولاء والبراء وبين المعاملة والتعاون على خير، وأعني الفرق بين الحلال والحرام وبين المباح، ولا أتقرب إلى الله إلا بما شرعه ما وسعني ذلك لا بما تمليه العاطفة.

٤) ومنه القيام بالقسط والشهادة على النفس أنه اعترف بأنه سوء فهم رسام الكاريكاتير المجرم للنبي صلى الله عليه وسلم ووظيفته ودينه وبالتالي وصفه بالتفجير والإرهاب العدواني كانه نتيجة لسوء فهم بعض المنتمين للإسلام دينهم وسوء تعرضه للأمم تفجيراً وعدواناً وخيانة وغدراً اتباعاً للعاطفة الضالة عن سبيل الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو مخالفة لنص الآية المحكمة: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ فقد رد بعض المؤيدين لحرية الرسام في التعبير على منكري التعرض للمقدسات من المسلمين وغيرهم بأنه جريدة سورية سبقت إلى ذلك فلم تظهر انكار من المسلمين ولا من غيرهم.

٥) وجهل أكثر المسلمين بعالم الإسلام وخلقه جر على الإسلام وعلى المسلمين في هذا العصر (بل منذ الفاطميين) كثيراً من الفتن والمصائب في الدين عندما تولى العلم والدعوة المفكرون مثل: الحلاج والبسطامي وابن عربي بفكر اليونانيين ومن وراءهم فكر الهندوس، ثم بالفكر الحديث الذي روج له مثل: الأفغاني ومحمد عبده تجاوز الله عنهما، ولم يتسلم كتاب الله من تأويل المتكلفين وبخاصة: بدعة (الإعجاز العلمي) وراءه كافي هذا العصر: طنطاوي جوهري تجاوز الله عنه وعمن تبعه مثل: مصطفى محمود وعبد المجيد الزنداني وزغلول النجار وهم وأمثالهم لا يملكون بسطة في العلم الشرعي ولا النظريات الكونية تؤهلهم للقول على الله، وتخصص سيد قطب رحمه الله

في بدعة (التصوير الفني في القرآن) ليجتاك الشيطان بالفكرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن بيانه ما أنزل الله عليهم من وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

٦) من متابعتي نشاط الدعوة والدعاة في الثلاثة عقود الماضية لم أر من الحركيين والحزبيين الموصوفين بالإسلاميين غضباً لله ولرسوله ولدينه بسبب لعنة الرب والتدين به من ينتهون للإسلام في بلاد الشام، وبخاصة الأرض المقدسة التي بارك الله حولها، وفي العراق وفي المغرب العربي، ولم أر منهم - بكل توكيد - غضباً لله ولرسوله ولدينه بسبب تقرب أكثر المنتمين للإسلام إلى الله بالشرك الأكبر عند المقامات والمشاهد والمزارات والأضرحة (أوثان الجاهلية الأولى والأخيرة) والبدع الأخرى.

٧) كانت آخر وأهم وصايا النبي صلى الله عليه وسلم لأمته: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت عائشة رضي الله عنها: (يحذر مثل الذي صنعوا) متفق عليه، ولا يكاد بلد مسلم (خارج المملكة المباركة في جزيرة العرب) يخلو من هذه الأوثان، ولم تقم جماعة ولا حزب (مما يوصف بالإسلامي والإسلامية) لمحاربتها منذ ابتدعها الفاطميون وحماها العثمانيون ومنهم بينهم غير دعوة ودولة تجديد التدين في جزيرة العرب في القرون الثلاثة الأخيرة، مع أن حسن البنا وسيد قطب قائدي جماعة الإخوان المسلمين، ومحمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ وتقي الدين النبهاني مؤسس حزب التحرير تجاوز الله عنهم ولدوا وماتوا وبيئة هذه الأوثان وبيئة زوايا التصوف والموالد والاحتفالات والأعياد والمدائح الدينية وغير ذلك من البدع التي أشغل بها الشيطان وأعوانه الناس عن معرفة السنة والعمل بها.

٨) وجاء (رشاد خليفة) ليؤيد دينه بدعوى أن جميع سور القرآن ينقسم عدد حروفها على رقم ١٩ (أو مضاعفاته) مستدلاً على بدعته بقول الله تعالى عن النار: (عليها تسعة عشر) وطار أكثر المنتمين للإسلام فرحاً بمجاءه، ولم أر منهم توقف عنه قبولاً غير هيبة كبار العلماء في دولة التوحيد والسنة، ثم تبينه للمسلمين أن رقم ١٩ هو الرقم المقدس عند فرقة خارجة عن السنة وانتهى الأمر بقتله.

٩) وجاء (ديدات) ليؤيد دينه بسبب الإنجيل وتحقيره ووصفه بالركاكة والتناقضه ودعوى أنه يستطيع الإتيان بمثله؛ فرد عليه بعض مناظريه (وبخاصة من لهم أصل عربي) بأنه قالوا عن القرآن مثل ذلك، ولهذه هي النتيجة التي حذر الله منه وقوع بسبب الدعوة بالجدل والسب: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾.

١٠) وقد ظن كثير من المنتمين للإسلام أن التصوف هو محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعا لهم بإظهارها بما تشتهيه نفوسهم دون رجوع إلى الوحي وفقه الأئمة الأول في نصوصه، فعبر عنها بعضهم بالعشق ومدحوه تبعا لذلك بأنه (خده أحمر مورد، ريقه سكر مكرر، بطنه طي الحرير حريه بشد الزفير، خده التفاح شامي) وأصابت العدوى بعض الوعاظ المنتمين إلى السلفية فوصفوه في خطب الجمعة والقنوت (بالوجه الأنور والجبينة الأزهر) ذهولا منهم عن الرجوع إلى النص والفقه فيه، بل وضع له المبتدعة تسمة وتسميته اسما، وزعموا أنه خلق من نور الله، وأنه منه نعمته على الخلق: الدنيا والآخرة وأنه منه علوم علم اللوح والقلم، وأنه بحمامته علك على عرسه الرحيم، وأنه الأول والآخر والظاهر والباطن، وأنه له كل أسماء الله تعالى، وأنه أوتي علم الخمس [مفاتح الغيب] بتحريف هذا التحريف في شعر البوصيري (البردة) والرواس الحموي (أبواه الخلع الفاخرة) وكتاب محمد علوي المالكي (الذخائر المحمدية وشفاء الفؤاد بخاصة) وهي غيض من فيوض الصوفية الضالة.

١١) ونتيجة هذه القضايا الخاسرة (شرعا وعقلا وواقعا) مخالفة شرع الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، والتقرب بذلك إلى الله، والانشغال به عن معرفة الدين الحق والرجوع إليه والعمل به والدعوة إليه، ولمساءة سمعة الإسلام والمسلمين؛ مع أنهم - غالبا - هم المذمومون أولا في مقدمة أكثر القضايا: هم الذين هجروا المسجد البابري خمس عشرة سنة انتهت بسلبه، وهم الذين أرسلوا بناتهم إلى المدارس العلمانية في فرنسا ثم غضبوا المنع تغطية الرأس، وهم الذين اعتدوا على أمريكا في آسيا وأفريقيا ثم في أمريكا فجلبوا بذلك الدمار لأفغانستان ثم العراق، لهدانا الله وإياهم جميعا لما يقرب من هذا شرا.

١٢) لابد من محبة الله ورسوله ودينه فوق كل محبة والانتصار لله ولرسوله ولدينه وفق شرع الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم نية وقولا وعملا، لا للهوى والقومية، والولاء التوفيق